

تفسير البحر المحيط

@ 196 رَبِّكُمْ مَا تُكَدِّبَانِ * مُتَّكِدَيْنِ عَلَيَّ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْدٍ قَرِيٍّ
حَسَانٍ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمْ مَا تُكَدِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . .

قال ابن عباس : تجتنيه قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، لا يرد يده بعد ولا شوك وقرأ عيسى :
بفتح الجيم وكسر النون ، كأنه أمال النون ، وإن كانت الألف قد حذفت في اللفظ ، كما أمال
أبو عمرو { حَتَّى نَرَى اللَّاهَ } . وقرء : وجنى بكسر الجيم . والضمير في { فَيِهْنَنَّ }
{ عائد على الجنان الدال عليهن جنتان ، إذ كل فرد فرد له جنتان ، فصح أنها جنان كثيرة
، وإن كان الجنتان أريد بهما حقيقة التثنية ، وأن لكل جنس من الجن والإنس جنة واحدة ،
فالضمير يعود على ما اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل . وقيل : يعود على
الفرش ، أي فيهن معدات للاستماع ، وهو قول حسن قريب المأخذ . وقال الزمخشري : فيهن في
هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والجنى . انتهى ، وفيه بعد . وقال
الفراء : كل موضع من الجنة جنة ، فلذلك قال : { فَيِهْنَنَّ } ، والطرف أصله مصدر ، فلذلك
وحد . والظاهر أنهن اللواتي يقصرون أعينهن على أزواجهن ، فلا ينظرن إلى غيرهم . قال ابن
زيد : تقول لزوجها : وعزة ربي ما أرى في الجنة أحسن منك . وقيل : الطرف طرف غيرهن ، أي
قصرن عيني من ينظر إليهن عن النظر إلى غيرهن . .

{ لَمَّ يَطْمِثْهُنَّ } ، قال ابن عباس : لم يفتضهن قبل أزواجهن . وقيل : لم يطأهن
على أي وجه . كان الوطاء من افتضاض أو غيره ، وهو قول عكرمة . والضمير في { فَبِأَيِّ آلاءِ
رَبِّكُمْ مَا تُكَدِّبَانِ } . وقرأ الجمهور : بكسر الميم يطمثن في الموضوعين ؛ وطلحة وعيسى وأصحاب عبد الله وعلي : بالضم . وقرأ ناس : بضم الأول وكسر
الثاني ، وناس بالعكس ، وناس بالتخيير ، والجحدري : بفتح الميم فيهما ، ونفي وطئهن عن
الإنس ظاهر وأما عن الجن ، فقال مجاهد والحسن : قد تجامع نساء البشر مع أزواجهن ، إذ لم
يذكر الزوج إلا تعالى ، فنفي هنا جميع المجامعين . وقال ضمرة بن حبيب : الجن في الجنة
لهم قاصرات الطرف من الجن نوعهم ، فنفي الافتضاض عن البشرى والجنيات . قال قتادة : {
كَأَنَّ زَهْنَنَّ } على صفاء الياقوت وحمرة المرجان ، لو أدخلت في الياقوت سلكاً ، ثم نظرت
إليه ، لرأيت من ورائه . انتهى . وفي الترمذي : أن المرأة من نساء الجنة ليرى بياض
ساقها من وراء سبعين حلة مخها . وقال ابن عطية : الياقوت والمرجان من الأشياء التي
يرتاح بحسنها ، فشبه بهما فيما يحسن التشبيه به ، فالياقوت في إملاسه وشفوفه ، والمرجان

في إملاسه وجمال منظره ، وبهذا النحو من النظر سمت العرب النساء بذلك ، كدرة بنت أبي لهب ، ومرجانة أم سعيد . انتهى . .

{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ فِي الْعَمَلِ ، { إِلاَّ الْإِحْسَانُ } فِي الثَّوَابِ ؟ وَقِيلَ : هَلْ جَزَاءُ التَّوْحِيدِ إِلاَّ الْجَنَّةُ ؟ وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ : إِلاَّ الْحَسَانَ يَعْنِي : بِالْحَسَنِ الْحُورِ الْعَيْنِ . { وَمِنْ دُونِهِمَا } : أَيُّ مَنْ دُونَ تَيْنِكَ الْجَنَّتَيْنِ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْقَدْرِ ، { جَنَّتَانِ } لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ، وَالْأُولِيَّانِ هُمَا لِلْسَّابِقِينَ ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَالْأَكْثَرُونَ . وَقَالَ الْحَسَنُ : الْأُولِيَّانِ لِلْسَّابِقِينَ ، وَالْأَخْرِيَّانِ لِلتَّابِعِينَ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : { وَمِنْ دُونِهِمَا } فِي الْقُرْبِ لِلْمَنْعَمِينَ ، وَالْمُؤَخَّرَتَا الذِّكْرِ أَفْضَلُ مِنَ الْأُولِيِّينَ . يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ وَصَفَ عَيْنِي هَاتَيْنِ بِالنَّضْحِ ، وَتَيْنِكَ بِالْجَرِيِّ فَقَطْ ؛ وَهَاتَيْنِ بِالذَّهْمَةِ